ذات مرة قرأ ناقد هذه الأبيات :

لا تخش إلحافا عليك فما نرى ∴ ضوء النهار يزيد فى الإلحاف
فامنح قليلك كل حين منحة ∴ يبق الكثير وراء الاستنزاف
لاتبذلن لنا جميع رجائنا ∴ فتذودنا عن غيثك الوكاف
من يمنح الشيء الذى مابعده ∴ منح يكن كالمانع الصداف

قال الناقد إن الشاعر يخرج من الشاعرية والعشق إلى الفلسفة والزهادة ، أليس أقرب إلى الفطرة أن يقول الأستاذ العقاد فى موضع آخر :

كن لقلبى بعض يوم وليكن ∴ كل يوم لك صبحا ومساء
ايها المعطى غدا من سعة ∴ اعط إذ انت ملىء بالعطاء
إنما اليوم لنا كغد ∴ وغد ياصاحبى اليوم هباء

وربما كان كثير من القراء يسرفون فى استعمال لفظ الفطرة ، أو يعجزون عن ملاحظة التنوع الهائل الذى يتمتع به الشعر ، أو يقارنون ويدأبون على المقارنة دون فطنة إلى بعض مخاطرها . وربما أضرت المقارنة ، وربما خيل إلينا أن هناك قوالب مطلقة ، وكلما جاء الشاعر بغير ما يتوقع القراء أنكروه ، وعلّموه - فى زعمهم - ما يتعفف هو عن تعلمه واتباعه . ولكن تاريخ النقد الأدبى هو تاريخ المجادلات المتعلقة بالأذواق ، أو تاريخ العجز عن التفرغ للشعر ، العجز عن تخلية العقول من معوقات كثيرة .

ولدى العقاد أمثلة غير قليلة يضربها لهذا العجز المرتبط بما سميناه من قبل باسم الاستجابات المخزونة . وقليل من الناس يرتابون فى هذه الاستجابات ، فهى عندهم معالم الطريق وأضواؤه ، أو هى خلاصة خبرات متراكمة . ولذلك كانت القراءة وماتزال أمرا عسير المنال .

ياللسماء البرزة المحجوبة ∴ اعجب ما ابصرت من أعجوبة
تروعنا انجمها المشبوبة ∴ تهولنا قبتها المضروبة
كانها الهاوية المقلوبة ∴ كانها الجمجمة المنخوبة
تهمس فيها الذكر المحبوبة